مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تسليم سرديّ:

الفَضَاْءُ الخَارِجِيُّ فِيْ "عَيْنٌ وَجَنَاحٌ" لِلْكَاْتِبِ وَالْرَّحَّاْلَةِ مُحَمَّدٍ الْحَاْرِثِيِّ

ناصر بن حمود بن حميد الحسنيّ[١]

١ الجامعة الشرقيَّة / كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة وآدابِها، سلطنة عُمان؛

nasser.alhasani@asu.edu.om

دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/١٠/١١	٢٠٢٣/١١/١٣	٢٠٢٣/١٢/٣١

المجلــد (١٦) العــدد (٢٨)
جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ-كانون الأول٢٠٢٣م

DOI:
10.55568/t.v16i28.121-139

مُلَخَّصُ البحْث:

لعلَّ المتأمِّل في الفضاء المكانيّ كما رسم ملامحه "مُحَمَّد الحارثيّ" في هذا العمل يجد أنَّه قد تجاوز بعده الطوبوغرافيّ والجغرافيّ واكتسب علامات سيميائيَّة وثقافيَّة وتعليميَّة واستكشافيَّة تتعلَّق بالرحلة ومقاصدها وأدبيَّات السفر ومقتضياته، حيث اتَّخذ الفضاء المكانيّ ولا سيَّما الزمانيّ بعدًا شموليًّا جعل منهما فضاءات عامرة بدلالات ومعاني ارتبطت بمقاصد الرحلة وفوائد السفر فتجلَّى فضاء جغرافيًّا فاعلًا ومؤثّرًا من خلال الصورة الواصفة والمتواترة، وفضاء نفسيّ، وفضاء أيديولوجيّ، وفضاء اجتماعيّ كلّها تتلاحم لتنسج معالم الرحلة. ولا غرابة في ذلك فقد اشتغل الفضاء في خطاب الرحلة لدى "مُحَمَّد الحارثيّ" من خلال التقاطعات الثنائيَّةُ الضدِّيَّةُ عبر ربطها بقيم الحياة الإنسانيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة من خلال دور الفضاء المكانيّ والزمانيّ بوظيفته التأثيريَّة في النصِّ الرِّحْلِيِّ بينه وبين الشخصيَّات المرتحلة وهي تنجز الرحلة، فاشتغال الأماكن كفضاءات متحرِّكة بين ثنائيَّة الفضاء المفتوح والفضاء المغلق بدلالاتها وتحوُّلاتها المتعدِّدة ترمز إلى جماليَّات الفضاء الرِّحْلِيِّ وهو ما أسهم الحارثيُّ بقسط كبير في رسم ملامحه ونقله إلى القارئ.

كلمات مفتاحيَّة: الفَضَاْءُ الخَارِجِيُّ، عَيْنٌ وَجَنَاحٌ، الكَاْتِبُ وَالْرَّحَّاْلَةُ مُحَمَّدٍ الْحَاْرِثِيِّ.

Extramural Space in "`Ayin wa Janah" – An Eye and a Wing- of Author and Traveller Muhammad Al-Harithi

Nasser bin Hamoud bin Humaid Al-Hassani [1]

1 Al Sharqiya University / College of Arts and Human Sciences / Department of Arabic Language and Literature, Sultanate of Oman; nasser.alhasani@asu.edu.om
PhD. in Arabic Language/ Professer

Received:	Accepted:	Published:
11/10/2023	13/11/2023	31/12/2023

DOI: 10.55568/t.v16i28.121-139

Volume (**16**) Jumada Alakhirah 1445 AH
Issue (**28**) December 2023

Abstract:

Perhaps the one who contemplates the spatial space, as depicted by "Muhammad Al-Harithi" in this work, will find that he transcends its topographical and geographical dimension and acquired semiotic, cultural, educational and exploratory signs related to the journey and its purposes and the literature of travel and its requirements . Since the spatial space, especially the temporal one, takes a comprehensive dimension setting them spaces filled with connotations and meanings. It is of purposefulness for the trip and the benefits of travel, so an effective and influential geographical space is revealed through the descriptive and recurring image, a psychological space, an ideological space, and a social space, all of which coalesce to weave the features of the trip.

There is no surprise as space is employed in the journey discourse of "Muhammad Al-Harithi" through binary oppositions related to the values of human, political and social life through the role of spatial and temporal space with its influential function in the travel text between it and the traveling characters as they complete the journey. So the places function as moving ones . Between the duality of open space and closed space, with its multiple connotations and transformations, it symbolizes the aesthetics of nomadic space, which is what Al-Harthi contributed greatly to drawing its features and conveying it to the reader.

Keywords: Outer space, The book An Eye and a Wing, Traveler Muhammad Al-Harithi.

المقدِّمة:

السّفر عنصر رئيسيّ في الارتحال واكتساب المعارف وتحقيق مساحات التّواصل مع الذّات والآخر على حدّ سواء. كما أنَّه يشكّل مدخلاً ومجالاً رحبًا للدّهشة والسّؤال والكتابة والثقافة .فلا شكَّ أنَّ الرّحلة فعلٌ ثقافيٌّ جادٌّ قبل أنْ يكون تنقّلاً في مختلف الفضاءات، بل إنَّ الارتحال يمكن أنْ يُعدُّ من الأسئلة المصيريّة التي مازالت حاضرة في سُؤال الخلق فهو من الأسئلة المتجدّدة دومًا بتجدّد المكان والزمان.

هكذا يبدو كلّ سفر يتشكّل بحثًا مستمرًّا عن هُوُيَّةٍ جديدة بأفكار وتواريخ وجغرافيَّات متنوّعة دومًا. فقد حاولت الرّحلة أنْ تترسّخ بتنوّع أسفارها، تاريخًا ثقافيًّا وآخر اجتماعيًّا منفتحًا على تأليفات متباينة تتقاطع معها، ولذا أصبحت الرّحلة مع التراكم الكمِّيّ والنوعيّ للمعارف المختلفة مسارًا فاعلاً ونصًّا رِحْلِيًّا كونيًّا ينتمي إلى كلّ الجهات والآفاق التي يمكن أنْ يُباشرها الرحّالة ويضع أوزاره فوقها تجسيدًا لعلاقاتها المتينة بالفضاء المكانيّ والزمانيّ من منظور أنَّها سفرٌ دائمٌ وانتقالٌ مستمرٌّ من فضاء مكانيّ وزمانيّ إلى آخر لهدف أو أهداف يُحاولُ أنْ يلتقط خلالها الرّحالة أو الكاتب المشاهدات والاكتشافات، وصفًا وسردًا، وتعليقات وأحكاماً بلغته ورؤيته وهي لا شكَّ رؤية الرحّالة من الكتّاب أو الشّعراء والمؤرّخين والجغرافيّين والإخباريّين والمحاربين والعلماء والقضاة والفقهاء ورجال الدّين وغيرهم[١].

١-في وظائف الفضاء الرِّحْلِيِّ، الرؤية والتشكيل:

إنَّ السّفر في النّصّ الرِّحْلِيِّ، وانطلاقًا ممّا سبق، يمكن اعتباره عنصرًا قائمًا ومتحوّلاً داخل الجنس الأدبيّ، يتحقّق قيمة تُعلي من الحياة والحكاية، فهو حمّال لآثار التاريخيّ والذاتيّ، والواقعيّ والتّخييليّ في آن واحد، فيستحيل الفعل الرِّحْلِيُّ حقائقَ ومزاعمَ أو تخيُّلاتٍ. إنَّه "عنصر دسّاس يركب الجسور الأكثر تفرّعًا ومراوغة، حيث تواجدَ في شكلين مُختلفين منذ فترة طويلة جدًا، في الشّعر والتّاريخ؛ الشّعريّ التّخيليّ والتّاريخيّ التّوثيقيّ".[٢]

١ حليفي، شعيب. العبور إلى التخييل، الرواية والسفر، تقاطع التسجيلي والتخييلي(المغرب: منشورات مختبر السرديات، ٢٠١٥)، ٣.
٢ حليفي، ٣.

ولتحقيق هذه الوظائف المعرفيّة والعلميّة كان لا بدّ للمرتحل أن يتحرّك في فضاء مكانيّ مخصوص، بل في فضاءات متعدّدة حتَّى يحقّق ما يرومه وهو ينجز الرّحلة. فهو من هذه الناحية يتحرّك داخل فضاءات منفتحة ومنغلقة تيسّر رحلته وتكشف عن غاياته. ولعلَّ الفضاء هنا مفهوم شاملٌ يتعلَّق بالمكان والزمان أو ما وصفه ميخائيل باختين بـــ " الكرونوتوب" وهو عنصران أساسيَّان مرتبطان لا تتحقّق الرّحلة إلاّ بتوفّرهما فهما من الشّروط الضّروريّة للرّحلة والارتحال.

يَجمع إذن، "الكرونوتوب الباختينيّ" الفضاءَ: المكان مع الزّمان جمعَ دمج، فلا فكاك بينهما. فهو مركّب لا يقبلُ الفصل بين مختلف مكوّناته الزّمانيَّة والمكانيَّة[٣]. والفصل بينهما في هذه الدّراسة غايته التّوضيح حتَّى يَتيَسّر النّظرُ في المرجع المُحال إليه في مختلف الرّحلات التي أنجزها الكاتب والرّحالة مُحَمَّد الحارثيّ. والمكان والزّمان عنصران أساسيَّان في رصد الظّاهرة الرّحليّة واكتشاف المكان ورصد معالمه وتتبّعها بما أنَّهما "حيّزان ضروريّان لسياق الأحداث والشّخوص"[٤].

إنَّ علاقة الرحّالة العربيّ بالزّمن وإنْ بدت محكومة بالتوتّر فإنَّها في منجزه الإبداعيّ الرّحليّ الذي يحدثه تبدو علاقة متلازمةً، إذْ العلاقة بين الزّمن الرّحليّ وأطُره المكانيّة والزّمانيّة هي علاقة تلازميَّة. فلا يتحقّق الواحد منْهما إلاّ بتحقّق الآخر فالعلاقة بينهما علاقة تلازميَّة "فالحكاية الرِّحْلِيَّة هي العالم المتخيّل وزمنها يتّسم بالتّعدّد"[٥]. لذلك جمع العديد من النّقاد بين تحقّق الرحلة والعنْصر الزّمنيّ الذي تُنْجز فيه. فكلّ "ما يحْكى يحدث في الزّمان وكلّ ما يحْدث في الزّمان يكونُ قابلاً للحكْي"[٦].

وقد اِجتهد المُنظِّرون على اِختلافهم وتباينهم في إنْتاج نظريّة للزّمن السّرديّ الرِّحْلِيِّ " **وهو ما أفلحوا فيه إلى حدٍّ ما خاصّة مع جيرار جينات في خطاب " الحكاية " وبول ريكور في نظريَّته التأويليَّة من خلال مؤلَّفه المشهور "الزمن والسرد". وقد تركت هذه الجهود أثرًا**

---

٣ Bakhtine, Mikhail. Esthetique et Theorie Du Roman.Traduit Du Russe Par Daria Olivier.Preface de Michel Aucouturier, ed. Gallimard, 1978, 237,238,252; Bakhtine, Mikhail. Esthetique de La Creation Verbale.Traduit Du Russe Par Alfreda Aucouturier.Preface de Tzvetan Todorov, ed. Gallimard, 1984, 238.

٤ الباردي، مُحَمَّد. الرواية العربية والحداثة (دار صادر، ٢٠٠٠)، ٣٩٩.

٥ تزيفتان تودروف، الشعرية، ترجمة. شكري المبخوت و رجاء بن سلامة، ط٢ (الدار البيضاء: سلسلة المعرفة الأدبية، دار طوبقال للنشر، ١٩٩٠)، ٤٨.

٦ Ricoeur, Paul. Du Texte a Laction (Seuil Paris, 1986), 12.

طيِّبًا على مستوى التّلقّي العربيّ لما جاء فيها ممّا أسْهم في تحريك وتيرة الدّراسات التي جعلت الزّمن السّرديّ الرِّحْلِيِّ موضوعًا لأطروحات مُختلفة"[٧].

وقد عملنا في هذا المبْحث على ضرورة تتبّع الفضاء في تجارب مُحَمَّد الحارثيّ * الرِّحْلِيَّة من خلال كتابه **"عين وجناح"**[٨] ومن ثَمَّ النّظر في مختلف البُنى المكانيَّة والزّمانيَّة.

١-الفضاء المعنى المستحدث للمكان:

جدير بالذّكر أنّ السّيميائيين قد عملوا على اسْتبدال مُصطلح المكان عندهم بمصطلح الفضاء الذي يُعَدُّ من المصطلحات النّقديَّة في الدّراسات والبحوث الحديثة، فالفضاء في حقيقته مُكوّن لسانيّ (لفظيّ) يختلف عن الفضاءات الخاصّة بالسّينما والمسرح[٩]، أيّ الأماكن التي تدركها بحاسَّة البصر أو السّمع، أي أنَّه لا يوجد إلاّ من خلال الكلمات المطبوعة في النّصّ ويتّسم بخصائص فنِّيَّة وجماليَّة يخلقها الرحّالة وتشكّل محمولاً فكريًّا ورؤيويًّا له[١٠].

ذلك أنَّ الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان[١١]؛ فرؤيتهم للمكان ووظيفته وأهمِّيَّته تتعدّى ذلك الموضع الذي تحدث فيه الوقائع والأحداث، حيث يتجاوز ذلك البعد الجغرافيّ محدّد الأبعاد: الطول والعرض والارتفاع للمكان بمعناه التقليديّ بتفريغ وظيفته التأثيريَّة على الشّخصيَّات المرتحلة ومجرى الأحداث في النّصِّ الرِّحْلِيِّ، إلى مصطلح يتعدّى المفهوم المادِّيَّ للمكان، فالفضاء يتجاوز المكان بحيِّزه الضّيِّق إلى فضاء حامل للقيم والدلائل والإيحاءات بسبب تفاعله مع الشّخصيَّات المرتحلة والأحداث، فعنصر المكان لا يحقّق وظيفته الفنِّيَّة إلاّ إذا تحوَّل إلى فضاء عامر بالقيم الثقافيَّة والفكريَّة والإيديولوجيَّة، والأخلاقيَّة، وهو ما يجعل مدلوله واسعًا ومعناه مرتبط بفضاءات عديدة: فضاء دلاليّ،

٧ السلطاني، رشيد. الزّمن في الرواية الجزائرية (الأم البواقي: جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٤)، ٥٥.
٨ الحارثي، مُحَمَّد. عين وجناح، رحلات، ط٢ (كولونيا – ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٨).
٩ حليفي، شعيب. مجلة سرود . العدد١ (٢٠٢٠): ٥.
١٠ بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠)، ٢٥.
١١ الأحمر، فيصل. معجم السيميائيات (بيروت: منشورات الدار العربية، د.ت.)، ١٢٣.
* مُحَمَّد الحارثي شاعر وكاتب ومغامر ورحَّالة ولد ١٩٦٢ في قرية المضيرب بولاية القابل بمحافظة شمال الشرقية بسلطنة عُمان، حائز على جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي، نشر العديد من المجموعات الشعرية." عيون طوال النهار " الدار البيضاء ١٩٩٢، " كل ليلة وضحاها " كولونيا ١٩٩٤، " أبعد من زنجبار " القاهرة ١٩٩٧، " فسيفساء حواء " قصيدة مسقط ٢٠٠٢" لعبة لا تمل، كلونيا ٢٠٠٥، حاز على جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي، عن كتابه عين وجناح، رحلات في الجزر العذراء، كتب في الصحافة العربية والعمانية وترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية واليابانية.

فضـاء نفـسيّ، فضـاء إيديولوجـيّ، فضـاء حكائـيّ فضـاء جغـرافيّ، فضـاء نـصّيّ، فضـاء اجتماعـيّ... وغيرهـا مـن الأنـواع التـي تلائـم أوضـاع الحيـاة البشريَّـة[١٢].

وفي هـذا يـرى الباحـث "يـوري لوتمـان" أنَّ "مشـكلة بنيـة المكان الفنِّيِّ ترتبـط ارتباطًـا وثيقًـا بمشـكلتَي الموضـوع والمنظـور[١٣] ". فالفضـاء مـن وجهـة نظـر "جريـماس" الـذي يتّفـق فيهـا مـع "جـيرار جينيـت" يعتـبر بنيـة دالّـة إذ أطلـق عليهـا الـدّال الفضائـيّ الـذي يحيـل إلى بُنـى أخـرى خـارج النّـصّ (بُنـى عميقـة) مـن خـلال العلاقـة بـين الـدّال كمظهـر خارجـيّ والمدلـول كجوهـر عميـق، وهـو يَعُـدُّ الفضـاء بنيـة يمكـن معاينتهـا داخـل النّـصّ مـن خـلال تمظهرهـا في اللّغـة الواصفـة، وفي علاقاتهـا مـع النّـصّ وسـياقاته الخارجيّـة[١٤].

وذلـك مـن خـلال تتبّـع مختلـف الرّحـلات التي أنجزهـا الرّحالـة. ومـن ثَـمَّ التّعـرف عـلى مكان وزمـان وقوعهـا، أي مـن خـلال تتبّـع مسـار السّـرد الرِّحْـلِيِّ في "عـين وجنـاح" لُمحَمَّد الحارثـي؛ لهذا نجـد أنَّ هـذه الأنـواع السّرديَّـة متوفّرة في هذه الرّحـلات المنجزة. ففي أحْيان كثيرة يعْمد السّـارد إلى توْظيفهـا لبيـان مـاضي الشّـخصيّة القصصيّـة أو مـا تطمـحُ إلى القيـام به على سـبيل السّـرد الاسـتباقيّ "تعـودت ألاّ أزور الأماكـن الأثريّـة والسّـياحية المهمّـة عـدا بيـت العجائـب حتَّـى يصـل صديقـي مـن مسـقط. فقضيـت الأيَّـام الأولى في اسـترخاء تتخلّلـه القـراءة، السّـباحة، التأمُّـل ومناقرة "رشـيد مايـكل" والعجـوز في أوقـات الملـل مـع بعـض مـن الـكلام الصـافي حول الفـنِّ مع ديانـا "[١٥].

فـما هـي إسـتراتيجيّة السّـارد المرتحـل في بنـاء الأحـداث بنـاءً زمنيًّـا ومكانيًّـا في مؤلَّفـه "عـين وجنـاح"؟ وأيـن تتجـلّى الأبنيـة المكانيَّـة والزّمنيّـة في مسـار الخطـاب الـسّرديّ الرِّحْـلِيِّ؟ ومـا الـدّلالات التـي تنهـضُ بهـا هـذه الأبنيـة المكانيَّـة والزّمنيَّـة خاصّـة في علاقتهـا بتنامـي الفعـل الرِّحْـلِيِّ في مختلـف هـذه الرّحـلات المنجـزة بلحاظهـا فضـاءات ستُسـهم في بلـورة معـاني الرّحلـة ومقصديتهـا؟ كيـف رصـد الرّحالـة مختلـف هـذه الفضـاءات المكانيَّـة والزمنيَّـة العامـرة بالقيـم والـرّؤى الفكريَّـة والإيديولوجيَّـة وتفاعلهـا فيـما بينهـا ودورهـا في تشـكيل النّـصِّ الرِّحْـلِيِّ؟

١٢ ستيتي، سعدية. فنية التشكيل وصيروة الحكاية رواية الأمير لواسيني الأعرج دراسة سيميائية٨٥، ٢٠١٣..
١٣ لوتمان، يوري. مشكلة المكان الفني (الدار البيضاء: عيون المقالات، ١٩٨٨)، ٦٥،٦٦.
١٤ ستيتي، فنية التشكيل وصيروة الحكاية رواية الأمير لواسيني الأعرج دراسة سيميائية، ٨٥.
١٥ الحارثي، عين وجناح، رحلات، ١١.

٢-تشكيل الفضاء في كتاب "عين وجناح":

ورد عنوان الكتاب مركّبًا عطفيًّا "عين وجناح" وهو لا شكَّ عنوانًا يتضمّن خطابًا إحاليًّا يتّصل اتّصالًا شديدًا بالرّحلة والارتحال. فبالعين نبصرُ كلَّ جديد ونتتبّع كلَّ ما من شأنه أنْ يكون جميلاً مميّزًا للمكان المرتحل إليه. والجناح بما يُحيل عليه من سفر وطيران وتنقل بين مختلف الأمكنة. فكأنَّه وسيلة السّفر. فبالجناح يتنقلُ الطير ويرتحل حرًّا طليقًا من مكان إلى آخر.

ولا شكَّ أنَّ "مُحَمَّد الحارثيّ" وهو يتخيّر هذا العنوان يدرك أنَّ "العين والجناح" هما من قاموس الرحلة والارتحال والسّفر، بل هي أدوات رئيسة لنجاح الرّحلة وتحقيق جدواها وأهدافها. وبناء على ذلك فقد مُثِّلَ العنوان بمنزلة المبتدأ لخبر هو النّصّ الذي يكون مزدحمًا بمختلف الرّحلات إلى اتّجاهات مختلفة سيرصد من خلالها "مُحَمَّد الحارثيّ" مختلف الاكتشافات والمعارف والعلوم التي تتيحها الرّحلة وتيسّرها.

وقد دأب الرّحالة على وضع عناوين ضمنيَّة داخل المتن الرِّحْلِيِّ من شأنها أن تُحيل على جنس الرّحلة، تأتي في غالبها منعوتة بلفظ "الرحلة ورقمها الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة"، مردوفًا باسم صاحبها أو نوع الرحلة أو المكان المقصود فيها (الأمريكيتين، زنجبار، تايلاند، فيتنام، الأندلس، عُمان). غير أنَّ "مُحَمَّد الحارثيّ" قد اختار صياغة مختلفة تتميّز بالاختصار ممّا يدفعنا إلى طرح سؤال التّجنيس، فهل يحقّق العنوان الكفاية على مستوى التّجنيس؟ وهل كان الحارثيّ واعيًا بهذا العطف بين كلمتي "عين وجناح"؟

إنَّ العنوان ههنا خطاب محيلٌ على آليّات الوصول إلى الفضاء الرِّحْلِيِّ والولوج إلى مسرح الأحداث في مختلف الرّحلات المنجزة، وعليه سيكون هذا المتن الرِّحْلِيُّ عبارة عن تقاريرَ وملفّاتٍ ووقائعَ يوميَّةٍ تسجيليَّةٍ شهدتها تلك الأمكنة التي سافر إليها الرّحالة "مُحَمَّد الحارثيّ." في المقهى الطافي أمام بيت العجائب التقينا بشابَّين عمانيَّيَن أسيريَن في اللغة السّواحليَّة والقليل من الفصحى التي تعلّمناها في المسجد الذي تلقّينا بين جدرانه أصول المذهب الإباضيّ. ولأنَّهما أسيرا الجنسيَّة التنزانيَّة التي لا تحلِّق بحاملها أبعد من زنجبار فإنَّه لم يسبقْ لهما أن زارا وطنهما الأمّ والأب"[١٦].

١٦ الحارثي، ١١.

ولعلَّ ذلك من شأنه أنْ يُحيل أيضًا على أنَّ الرحلة لدى مُحَمَّد الحارثيّ " **ستجئ في شكل نقل تسجيليّ لما وقع في هذه المدن المرتحل إليها** "[١٧]. ذلك أنَّ الفضاء الرِّحلّي الذي ينقله إلينا الرحالة هو في النهاية تشكيل لغويّ من صنع خيال الذّات المرتحلة مصطبغًا بهواجسها ورؤيتها وعلاقتها بالمكان. ولذلك فإنَّ دراسة الفضاء كمكوّن رِحليّ لسفرات "مُحَمَّد الحارثيّ" يحيلنا إلى القيم والرّؤى التي حمّلها الرّحالة لذلك الفضاء ويكشف عن وظيفة اشتغاله في الرّحلة من خلال علاقاته بالفضاء المكانيّ والزمانيّ ومكوّناتهما.

في هذا الإطار تضمّن الكتاب "عين وجناح" لمُحَمَّد الحارثيّ ست رحلات وهي على التوالي:

١-الرّحلة الأولى بين الأمريكيّتين، صيف في الجزر العذراء.

٢-الرّحلة الثانية: زنجبار، العودة إلى بيت العجائب.

٣-الرّحلة الثالثة: تايلاند، كوساموي.

٤-الرّحلة الرابعة: فيتنام، الظل القمريّ.

٥-الرحلة الخامسة: الأندلس، ضربة في الرأس، قصيدة في بنسيون المنصور.

٦-الرّحلة السادسة: عُمان، صحبة بن سُولع في الربع الخالي، عبور رملة وهيبة.

٣-مركزيَّة الفضاء المكانيّ في رحلات الحارثيّ:

إنَّ المتأمِّل في مختلف الرّحلات التي أنجزها الرّحالة "مُحَمَّد الحارثيّ" يلحظ بما لا يدع مجالًا للشكِّ هيمنة الفضاء المكانيّ عليها واحتفال الرحَّالة به في مختلف الرحلات حتَّى غدا مركزًا لمختلف السفرات، بل جعل الفضاء المكانيّ عنوانًا مميّزًا لمختلف رحلاته واستحال المكان تبعًا لذلك قطبًا رئيسًا يستقطب مختلف الصولات والجولات التي أنجزتها الشّخصيَّة الرّحالة وهو ما يجعل من مختلف الرّحلات استكشافًا للمكان وشغفًا كبيرًا إلى تلمّس مختلف الجماليَّات التي يستبطنها ويحيل عليها ليتجسَّد المكان المرجعيّ في مختلف الفضاءات التي زارها الرّحالة: الأمريكيتين، تايلاند، زنجبار، فيتنام، الأندلس، عُمان راصدًا شوارعها وحاراتها، وفنادقها، التي أقام بها، والمقاهي التي جلس فيها، متتبعًا الجوانب الزمنيَّة الدقيقة باليوم، والشهر، والسنة، وأسماء المرافقين له. "أفقتُ على صوت البحر فذهبت إلى صمته

١٧ الخبو، مُحَمَّد. الخطاب القصصيّ في الرواية العربية المعاصرة (دار صادر، ٢٠٠١)، ٢٥٢.

خلف النافذة راقبت صمته بصمت وبفوضى فاح بها إبطاي في الموج الخفيف، كنت في الموج وكانت ديانا تلوّح لي من شرفة الغرفة وكنت فوق هذا وذاك الغريق، غريق الجزيرة والفتاة"[١٨] وفيما يلي جداول تبرز هيمنة الفضاء المكاني على مختلف الرحلات حتَّى غدا ثابتًا سريًا لا يمكن الاستغناء عنه من العناوين وصولًا إلى المتون الرِّحْلِيَّة.

١-الرحلة الأولى بين الأمريكيتين، صيف في جزر العذراء.

مركزية الفضاء المكاني في رحلة بين الأمريكيتين...ومراوحة الأمكنة بين الانفتاح والانغلاق (التركيب الإضافي+ التركيب الجزئي بالجر)	طيران ناعم محاضرة تحت الماء في غوّاصة مع أسماك القرش حفل أسود في جزيرة بريطانية ذات أحد كسول إلى كاليفورنيا في طائرتين مختلفتين شاعر عربي في المهجر

٢-الرحلة الثانية، زنجبار، العودة إلى بيت العجائب.

مركزية الفضاء المكاني في رحلة زنجبار، العودة إلى بيت العجائب جدل: الأمكنة المنفتحة والمنغلقة.	هبوط شبه اضطراري صورة تاريخية بداية غريبة في السنغال في منزل عربي مع عائلة هندية دورة مكثفة في المفاتيح والأقفال في بيت العجائب وصول الصديق المسقطي جزيرة السجن مدينة الحجر وبيت الساحل الطيران إلى ممباسا على مسرح الأخطبوط غداء مع عنترة قلعة المزاريع

١٨ الحارثي، عين وجناح، رحلات، ١٠.

٣-الرحلة الثالثة، تايلاند، كوساموي.

مركزيَّة الفضاء المكاني في رحلة تايلند. الأمكنة العامَّة وتفاعلها مع الأمكنة الخاصَّة	الهبوط إلى فردوس بين جبلين صخرتا الأنوثة والذكورة لجبل الحكيم والفنان المجموعة الفردوسيَّة مركز البوليس النائم في كوتاو.

٤-الرحلة الرابعة، فيتنام، الظل القمري.

مركزيَّة الفضاء المكاني في رحلة فيتنام، الظل القمري الأمكنة الطبقية التي تحيل على طبقة بعينها.	نجمة حمراء، جواز سفر أحمر متحف الحروب عازف حي الفقراء الأعمى شمالًا نحو نياترانغ مليونيرا لأوَّل وآخر مرَّة باريس الشرق وسويسرا فيتنام البيت المجنون حديقة الأشجار المعلقة

٥-الرحلة الخامسة، الأندلس، ضربة في الرأس، قصيدة في بنسيون منصور

مركزيَّة الفضاء المكانيّ في رحلة الأندلس، ضربة في الرأس، قصيدة في بنسيون منصور والحنين للتاريخ والحضارة.	عبور مضيق جبل طارق سلفادور دالي ينقذني من التفتيش قصر الحمراء وبنسيون الماركيز جامع قربة ولادة ابن زيدون الغرفة رقم ٠٠٠ في إشبيلية

٦-الرحلة السادسة، عُمان، صحبة بن سُولع في الربع الخالي.

مركزيَّة الفضاء المكانيّ في رحلة عمان صحبة بن سُولع في الربع الخالي. الأمكنة الفاعلة والمؤثّرة في الرحلة، الأمكنة التراثيَّة، دينيَّة، أمكنة صحراويَّة مفتوحة ...مثل الصحراء	ساحرة مسفاة العبريين برترام توماس وجون فيلبي سيجار كوبي وباغيت فرنسيّ أتعس بئر في تاريخ النفط في قلب الربع الخالي فطيرة مبارك بن لندن تغريز سيارة الإسناد بين ضريحين في هوليداي إن. قصر بلقيس الصيفيّ بن سولع منتصف الألف كيلومتر

٤-دلالة توزيع المكان على فضاء الرحلة:

إنَّ تركيز الرّحالة على الفضاء المكانيّ المنفتح دومًا من شأنه أن يجعل الخطاب الرِّحْلِيّ آليَّة تخبر عن شغف الرّحالة نحو سبر أغوار أماكن متعدّدة ومختلفة في أزمنة بعينها، واصفًا إيَّاها جغرافيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، مخترِقًا بذلك الأبعاد المجهولة وذاكرًا لما أثار انتباهه من محدّدات ثقافيَّة، فضلًا عن معطيات متنوعة حبلى بمختلف الألوان المعرفيَّة يسوقها الرحالة "مُحَمَّد الحارثيّ" في أساليب مختلفة "من منطلق تأسيسيّ لثقافة تفاعليَّة تعكس جنسًا أدبيًّا وثقافيًّا في وعي الرّحالة والأديب ويختلط فيه الواقع بالحدس والاستفهامات التي ترتقي إلى معطيات وإدراكات تؤسّس لبنية ثقافيَّة خاصّة،"[١٩] وتتحوّل الرّحلة بذلك إلى أداة من الأدوات الإجرائيَّة في مجال من المجالات التاريخيَّة أو الاجتماعيَّة أو الأدبيَّة، وهذا كلُّه يكسب الخطاب الرِّحْلِيَّ تعقيدًا تطرح معه قضية تجنيس هذا الخطاب، وخاصّة إذا تعلَّق الأمر برحّالة يعيد إنتاج رحلته المادِّيَّة إلى خطاب ثقافيٍّ سرديٍّ وتسجيليٍّ في آنٍ واحد.

١٩ ناصر، اليديم. حينما يقبض الروائي على الرحلة، الرواية والسفر (المغرب، ٢٠٠٥)، ٦٣.

هـذا الفضـاء الرِّحْـلِيُّ الـذي مثَّـل القطـب والنـواة في كتـاب "عـين وجنـاح " مُحَمَّـد الحارثـيّ عـادة مـا تُنشِـئُه الـذّات المرتحلـة عـلى نحـو مخصـوص مـن خـلال المُـدركات الحسِّـيَّة التـي يمكـن أنْ نتبيّنهـا في التّفاعـل بـين مختلـف العنـاصر السّرديَّـة المشـاركة في الرحلـة عـلى أنَّ الفضـاء المكانيّ التـي يحفـل بـه مؤلّـف "مُحَمَّـد الحارثـيّ" هـو ذلـك المـكان الحقيقـيّ أو الموضوعـيّ الـذي زاره ويعرفـه الرحالـة حقيقـة تاريخيَّـة. وقـد تشـكّلت في تصـوّره ومخيَّلتـه وشـخّصها في الخطـاب الرِّحْـلِيّ حتَّـى اسـتوت عـلى هـذه الشّـاكلة ملتبسـة بمنـاورات السّـارد المرتحـل وميولاتـه وأيديولوجيَّتـه ومدْركاتـه الحسِّـيَّة.

فهـذه الفضـاءات إذًا عـلى تنوّعهـا وتباينهـا هـي مثـل مرجـع مُتخيَّـل داخـل اللّغـة في حـين تمثّـل هـذه الفضـاءات الحقيقيَّـة والتّاريخيَّـة مرجعًـا واقعيًّـا فعليًّـا خـارج اللّغـة. فالفضـاء المكانيّ داخـل الخطـاب الرِّحْـلِيِّ كـما صـوَّره "مُحَمَّـد الحارثـيّ" فضـاء متخيّـل تشـكلّه اللّغـة وتصنعـه عـلى هيـأةٍ يرومهـا الرّحالـة حيـث استكشـاف مواطـن الجـدَّة والطرافـة والتميُّـز فيهـا. فهـو بمنزلـة المكتشِـف والباحـث عـن أسرار الحيـاة وجمالهـا. عـلى أنَّنـا لا ننفـي أوجـه الشّـبه والتماثـل والمشـاكلة بـين المرجـع الواقعـيّ والمرجـع التّخييـليّ بـين مختلـف هـذه الفضـاءات الرِّحْلِيَّـة التـي زارهـا واستكشـفها الرحَّالـة "مُحَمَّـد الحارثـيّ" وبـين تلـك الأمكنـة الحقيقيّـة التـي مثّلـت مسْرحًـا لأحـداث الرحلـة ومكانًـا يسـتظلُّ بهـا "مُحَمَّـد الحارثـيّ" كلّـما حـطَّ الرّحـال بمـكان مخصـوص كشـف عنـه في كلِّ رحلـة مـن رحلاتـه.

ولعلَّ المدن والطبيعة والفضاءات المكانيَّة الحبلى بالتاريخ الإنسانيّ تُعَدُّ الأكثر حضورًا وتجليًّا في مسار الرحلة الحارثيَّة. وقد مثَّلت بهذا الحضور المكثَّف أمكنةً محوريَّةً ومركزيَّةً يتميّز بندرة المعلومات التي تحدّدها و تُسمّيها وتضبط خصائصها و اِمتدادها في أغلب الأحيان ممَّا جعل الرحَّالة "مُحَمَّد الحارثيّ" كثيرًا ما يزيح عنها الستار ويكشف عن ملامح تميّزها وجمالها وكأنَّه يستعمل هذه الفضاءات المكانيَّة كمداخل لكشف المستور ومعرفة خباياه ونقله إلى المتلقِّي في أسلوب رِحْلِيٍّ متميّز يجعل من الرّحَّالة صاحب مهمَّة تربويَّة ومعرفيَّة وإحاليَّة تكشف ما عجز عنه الآخرون ومعوّلًا على دقّة الوصف والتصوير وبراعة اللغة في بيان روعة المشهد الموصوف وهدوء وجمال المكان. ولا ريب في أنَّ المكان بوصفه فضاءً رِحْلِيًّا عرف تحوّلات غيّرت من طبيعته بحكم تحوّله في الزمن إلى مرجع محال عليه في الخطاب الإحاليّ للأعوان السّرديَّة والحاضن لمسرح الأحداث في الرحلة برمتها.

ولئن كانت أمريكا وعُمان والسنغال وتايلاند هي الفضاءات الأوسعُ الذي تتحرّك من خلاله الشّخصيَّات المرتحلة ومكانًا رِحْلِيًّا واقعيًّا يستمدّ وضوحه في ذهن القارئ والرّحالة "مُحَمَّد الحارثيّ" من مرجعه، فإنَّ الفضاء الأهمّ في الرحلة الحارثيَّة هي المدن والقرى والطبيعة من حيث أثرُه في الرحلة واضح وجليّ على مختلف المستويات. فهذه الفضاءات المكانيَّة التي تكوّن الرحلة وتستمدّ منها اسمها ووقائعها. فتشخيصها يقتصر على الأدنى الضّروريّ لا يجاوزه.

فهي كما صوَّرها الرحَّالة مرجعًا رِحْلِيًّا متميزًا وفاعلًا في آنٍ. وبذلك فإنَّ الفضاء الرِّحْلِيِّ في كتابات "مُحَمَّد الحارثيّ" يتشكّل على هيأةٍ مخصوصة إذ يُحوّله من الصّخب إلى السّكون. فتتحوّل الرحلة إلى أحداث تنقل العاديّ واليوميّ والمألوف والعجيب أحيانًا. ودقّقت الأزمنة وسَمّتْ بعض الأمكنة ووَسَمَتْهَا (الأمريكيتين، تايلاند، زنجبار، فيتنام، الأندلس، عُمان) تؤكِّد حضورًا فاضحًا للمرجع الخارجيّ في الرحلة أوشك أن يحوّل الرحَّالة المتخيّل محاكاة مباشرة. فالمرجع الرِّحْلِيّ الواقعيّ وقد وقع تسريده خلال الرحلة وتشخيصه سرديًّا داخل اللّغة الرِّحْلِيَّة غالبًا ما التبس برؤية الذّات المدركة (الرحَّالة / الكاتب) وحوّلته إلى مرجع داخل اللّغة يتلوّن بتلوّن الذّات الواصفة للفضاءات وأوجه رؤيته له.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الرّحالة في كتاب "عين وجناح" قد تدرّج من العام الى الخاصّ وهو ينسج خيوط الرّحلة ويتتبّع التّحوّل الذي شهدته مختلف هذه الفضاءات جرّاء ما تتعرّض إليه من تجديد وتحوّل حضاريّ وجماليّ أبهر مختلف الرّحَّالة على تنوّعهم وتعدّدهم. فنجده يوجّه اِنتباه المتلقّي في كثير من الأحيان إلى بؤرة بعينها في المكان المرتحل إليه وهي تلك البيوت والجبال والعمران والطبيعة والعادات والتقاليد" وكنَّا نتلذّذ بالسير في ذلك الكرنفال العجيب من الأجناس (ثقافات سحن ، وروائح بضائع من مومباي ودمشق وكاركاس وكنشاسا) عندما لفت انتباهي لافتة كتب عليها مطعم اليمن السعيد الذي وجدت نفسي أجرُّ صديقي إليه "[٢٠] ولعلَّ تلك المكوّنات الرِّحْلِيَّة قد شكّلت دومًا مسرحًا للرحلة ونواة سرديَّة لها ذلك أنَّ الذات المدركة (الرحَّالة / الكاتب) التي تترصَّد سير الأحداث والتحوّلات في مختلف هذه الفضاءات قد عمدت في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بمختلف المدركات الحسِّيَّة لرسم

٢٠ الحارثي، عين وجناح، رحلات، ٥.

الأمكنة كفضاءات تُنجزُ في داخلها الرحلة " كان احتفالًا جيِّدًا ومتميّزًا سيطرت الغالبيَّة السوداء بموسيقاها الصاخبة ورقصاتها التقليديَّة على مناخه العام تحت التأثير الغامض لإيقاعات الطبول التي تذكر بالجذر الذي انبعثت منه تلك الإيقاعات لإفريقيا الجريحة"[٢١].

ولعلَّ ذلك ما يجعل من "مُحَمَّد الحارثيّ" ليس كاتباً وشاعراً فحسب، إنَّما كان مغامراً ورحَّالةً بكلِّ ما تحمله هاتان الكلمتان من دلالات معانٍ، ويظهر ذلك جليًّا في إصداره "عين وجناح" الصادر في طبعته الثانية عن منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) -بغداد عام ٢٠٠٨م، بعد أن تلافى فيها المؤلِّف الكثير من الأخطاء، وأجرى بعض الإضافات والتعديلات، وأعاد صياغة بعض الفِقرات في المتن مع إضافة الهوامش عليه وعناوين فرعيَّة "ليكون الإمتاعُ/ المتنُ والمؤانسةُ/ الهامشُ معاً في راحِلَةٍ واحدة تجُوبُ بقنديل قارئها دهْمَاء ترحاله في هذا الكتاب".[٢٢]

وتكريسًا لتعلُّق الرّحَّالة بالمكان والفضاء بصفة عامَّة يُشيِّد الحارثيّ بوطنه في فضاء الرِّحلة التي يعيشها؛ إذ لا وجود لوطن عنده إلَّا في الرحلة، فمكان وطنه هو تلك الأمكنة التي تخوضها الرِّحلة؛ فالسَّفرُ والتِّرحالُ والتَّنقُّلُ عبر أمكنةٍ مختلفةٍ ومتعدَّدةٍ شيَّدت في نفسه وخلجاتِ روحهِ الاستغناءَ عن كلِّ ما يُسمَّى وطن، وطالما الرِّحلة مستمرَّة وغير منقطعةٍ، والإقامةُ الدائمةُ في تلك الفضاءاتِ مستحيلةٌ؛ فإنَّ فكرة الوطن عنده لن تتحقَّق أبداً، " ولذا على المرء أن يُحب تجوابه وترحاله أكثر من إذعانه الرومانسيّ لحبٍّ زائف لوطنه المُتحقّق ضرورةً. فالترحال أسلوب حياةٍ خاصّ خبِرَهُ البدو في مفازة الربع الخالي، كما خبِرَته قبائلُ "الماساي" في شرق إفريقيا.. القبائل التي اعتبرت الترحُّل وطناً مُتحقِّقًا مهما كانت الغاية منه ارتحالاً أبديًّا للوصول إلى وطن لا يتحقّق ولن يتحقّق أبدًا".[٢٣]

وغني عن البيان أنَّ الإنسانَ يسعى للوصول إلى المعرفة فأنَّى له ذلك وهو يطلبها حثيثاً، وهي الذاهبة عنه إلى مدارات وأفلاك لا متناهية، حيث تتماهى في الأشياء المحيطة بنا دون أن يظفر بها أحد من الخلق، وعليه فإنَّ الحارثيّ أدرك هذه الحقيقة، وحاول أن يتكيَّف معها بمزجها مع القليل من المغامرة والمتعة وخاصَّة في عطلة نهاية الأسبوع وعطلة نهاية الفصل؛ فكانت

٢١ الحارثي، ٦.
٢٢ الحارثي، ٧.
٢٣ الحارثي، ٦.

الرحلة مثل الخروج من فضاء المعرفة إلى فضاءات أخرى أكثر مغامرة وأكثر متعة "وهي رحلة كان هدفها الأساس الانضمام إلى دورة صيفيَّة محورها تاريخ وتطوّر الحياة البحريَّة في جامعة الجزر العذراء".[٢٤] ولذلك فقد وجد الحارثيُّ نفسه في محيطٍ يتمنَّاه، بين تلك المعرفة من خلال المحاضرات اليوميَّة، وبين تجوالٍ بصحبة شريكه في الغرفة أو يكون وحيداً يلحظ الحياة بكلِّ تفاصيلها الدَّقيقة، بعين المغامر والمستمتع والسَّاعي لمعرفة المزيد عن حياة الشُّعوب وثقافتها وطريقة عيشها، فكان "بين المحاضرة الصباحيَّة في بيولوجيا الأحياء البحريَّة (ثلاث ساعات يوميًّا) والتجوال وحيدًا كنت أقضي دقائق الوقت وأيَّامه، أو صحبة "جون" النيويوركي".[٢٥]

٥-ثنائيَّة الجبل والمدينة نماذج من فضاءات الرحلة:

يتميَّز فضاء الجبل بالانفتاح على دلالة العلوّ من خلال ثنائيَّة (الأعلى/ الأسفل) حيث ارتبط هذا الفضاء "بحزمة من الزهور البيضاء وروائح الغابة الجبليَّة"[٢٦]، الفضاء الخارجيّ (الجبل) يحمل دلالة العلوّ والشموخ والتأمُّل، يتحوَّل إلى فضاء لرصد مواطن الجمال في هذا الجبل فهو فضاء رحب لقيم الحرِّيَّة والجمال التي ينشدها الرحَّالة حيث شكَّل فضاء الجبل مناطق آمنة للمرتحل تحوُّل فضاء الجبل إلى فضاء يحمل دلالات كثيرًا ما كانت شخصيَّة المرتحل تطمح إليه. إنَّ فضاء الجبل بدلالاته المفتوحة على العلوّ يشكل تقاطبًا عموديًّا بين الأعلى والأسفل، فالأعلى يمثّله فضاء الجبل الشامخ الذي يمثّل قيمة إيجابيَّة من خلال دلالات الحرِّيَّة والانطلاق والاتّساع، والأسفل نسيج من المياه والخضرة تسعد الرحَّالة وتسهم في نزعة من التآلف بين الإنسان والمكان .وقد عبّر مسار الرحلة عن تحوّل الجبل في "عين وجناح" من فضاء مفتوح ولا محدود إلى فضاء مغلق وضيق، من فضاء الحرِّيَّة والسكون إلى فضاء تتحاور من خلاله الشخصيَّات المرتحلة " اختبأ خلف شجرة عجوز ليراقب العجوز وهو يغني ويرسم، يرسم ويغني ينام ويصحو، يصحو وينام "[٢٧].

٢٤ الحارثي، ١٣.
٢٥ الحارثي، ١٧.
٢٦ الحارثي، ١٦.
٢٧ الحارثي، ١٦.

أمَّا المدن والشوارع فقد استأثرت هي الأخرى بقسط كبير من الرحلة في مؤلَّف "مُحَمَّد الحارثيّ" فالتجوال في المدينة القديمة وشوارعها لا تضاهيها متعة والنفاذ من زقاق ضيق إلى زقاق أضيق لا يوصلان إلى جهة محدَّدة متعة لا يجدها سوى من دخل وخرج من مداخل ومخارج المدينة المتعدِّدة"[٢٨] ففضاء المدن والشوارع في مؤلَّف مُحَمَّد الحارثي من الفضاءات المفتوحة على قيم حضاريَّة واجتماعيَّة متطوّرة تحكمها قيم المدينة، عبَّر عنها الرحَّالة بكلِّ شغف ناقلًا حركيّتها قائلًا "لا تعرف وأنت تتجوّل في الأزقّة بين المشربيَّات وزخرف الأبواب العربيَّة الدكاكين وسحنات السكان المتباينة اليافطات المكتوبة باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة السواحليَّة والهنديَّة لا تعرف إن كنت في مسقط دمشق كلكتا أو مراكش فالمدينة من هذه وتلك"[٢٩]

٢٨ الحارثي، ١٢.
٢٩ الحارثي، ١٢.

الخاتمة:

إنَّ الفضاء المكاني كما رسم ملامحه "مُحَمَّد الحارثيّ" في هذا العمل تجاوز بعده الطوبوغرافيّ والجغرافيّ واكتسب علامات سيميائيَّة وثقافيَّة وتعليميَّة واستكشافيَّة تتعلَّق بالرحلة ومقاصدها وأدبيَّات السفر ومقتضياته، حيث اتَّخذ الفضاء المكانيّ ولا سيَّما الزمانيّ بعدًا شموليًّا جعل منهما فضاءات عامرة بدلالات ومعانٍ ارتبطت بمقاصد الرحلة وفوائد السفر فتجلَّى فضاء جغرافيًّا فاعلًا ومؤثِّرًا من خلال الصورة الواصفة والمتواترة، وفضاء نفسيّ، وفضاء أيديولوجيّ، وفضاء اجتماعيّ كلّها تتلاحم لتنسج معالم الرِّحْلَة. ولا غرابة في ذلك فقد اشتغل الفضاء في خطاب الرحلة لدى "مُحَمَّد الحارثيّ" من خلال التقاطبات الثنائيَّة الضدِّيَّة عبر ربطها بقيم الحياة الإنسانيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة من خلال دور الفضاء المكانيّ والزمانيّ بوظيفته التأثيريَّة في النصِّ الرِّحْلِيِّ بينه وبين الشخصيَّات المرتحلة وهي تنجز الرحلة، فاشتغال الأماكن كفضاءات متحرِّكة بين ثنائيَّة الفضاء المفتوح والفضاء المغلق بدلالاتها وتحولاتها المتعدّدة ترمز إلى جماليَّات الفضاء الرِّحْلِيِّ وهو ما أسهم الحارثيّ بقسط كبير في رسم ملامحه ونقله إلى القارئ.

وعليه فقد اتَّضحت لنا من خلال هذه المحاولة النقديَّة أبرز تلك الملامح من تجلِّيات المكان وشيوعه في مختلف الرحلات واتَّضحت – تبعًا لذلك - جماليَّات الفضاء الرِّحْلِيِّ من خلال بعض ملامح الكتابة الرِّحْلِيَّة عند "مُحَمَّد الحارثيّ" وتجسَّدت رحلته لتفصح عن انطباعات عائد من مدن الجمال تتبعها الرحَّالة في كلِّ رحلة من رحلاته، وحاول أن يجسِّد من خلالها الفضاءات والمشاهدات انطلاقًا من تشييد عوالم رِحْلِيَّة يلتبس من خلالها التخيّليّ بالواقعيّ وهو ما أضفى على النصِّ الرِّحْلِيِّ بعده الجماليّ، معتمدًا في ذلك أسلوبًا شائقًا وممتعًا يستدرج القارئ بلطف ويدرّبه على كيفيَّات تلقّي الرحلة ، كي يصبح مشاركًا في تلك الرحلات، وإذا نظرنا إلى تقنية الفضاء في النصِّ الرِّحْلِيِّ، نجده يعود بنا إلى فضاءات متنوّعة في عواصم مختلفة تستحب إليها الرحلة ويشد إليها الرّحال لما تعكسه من حقائق ومعلومات عن الأمكنة لكن بلغة تخلو من الجناس وبأسلوب

يتمـرّد عـلى المحسِّـنات البديعيَّـة والتعابـير المجازيَّـة والزخـارف الفنيَّـة[٣٠]، ممَّـا يجعـل النـصَّ الرِّحْـلِيَّ عنـد "مُحَمَّـد الحارثـيّ" أقـرب إلى تقريـر مفصّـل عـن أمكنـة معلومـة. هـذا، مـع افتقـار النـصِّ للتوظيفـات العجائبيَّـة والكراميَّـة والأحـلام والأماكـن المتّسـمة بالغرابـة، والحكايـات الخرافيَّـة، مـع اسـتعمال طريقـة تقليديَّـة في الـسرد الرِّحْـلِيّ تظـلّ مخلصـة لتجلّيـات الأمكنـة وسـيرورتها التاريخيّـة عـبر تجْسـيد كرونولوجـيّ[٣١].

٣٠ هرمودي، ميلود. تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية (الدار البيضاء – المغرب: مختبر السرديات، د.ت.)، ٧٩.
٣١ هرمودي، ٧٩.

المصادر:

الأحمر، فيصل. معجم السيميائيات. بيروت: منشورات الدار العربية، د.ت.

الباردي، مُحَمَّد. الرواية العربية والحداثة. دار صادر، ٢٠٠٠.

الحارثي، مُحَمَّد. عين وجناح، رحلات. ط٢. كولونيا – ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٨.

الخبو، مُحَمَّد. الخطاب القصصيّ في الرواية العربية المعاصرة. دار صادر، ٢٠٠١.

السلطاني، رشيد. الزّمن في الرواية الجزائرية. الأم البواقي: جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٤.

بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠.

تودروف، تزيفتان. الشعرية. ترجمة شكري المبخوت و رجاء بن سلامة. ط٢. الدار البيضاء: سلسلة المعرفة الأدبية، دار طوبقال للنشر، ١٩٩٠.

حليفي، شعيب. مجلة سرود. العدد١ (٢٠٢٠).

حليفي، شعيب . العبور إلى التخييل، الرواية والسفر، تقاطع التسجيلي والتخييلي. المغرب: منشورات مختبر السرديات، ٢٠١٥.

ستيتي، سعدية. فنية التشكيل وصيروة الحكاية رواية الأمير لواسيني الأعرج دراسة سيميائية، ٢٠١٣.

لوتمان، يوري. مشكلة المكان الفني. الدار البيضاء: عيون المقالات، ١٩٨٨.

ناصر، اليديم. حينما يقبض الروائي على الرحلة، الرواية والسفر. المغرب، ٢٠٠٥.

هرمودي، ميلود. تقاطع الواقعي والخيالي في الرحلة الجزائرية. الدار البيضاء – المغرب: مختبر السرديات، د.ت.

Bakhtine, Mikhail. Esthetique de La Creation Verbale.Traduit Du Russe Par Alfreda Aucouturier.Preface de Tzvetan Todorov. Edited by Gallimard, 1984.

Bakhtine, Mikhail .Esthetique et Theorie Du Roman.Traduit Du Russe Par Daria Olivier.Preface de Michel Aucouturier. Edited by Gallimard, 1978.

Ricoeur, Paul. Du Texte a Laction. Seuil .Paris, 1986.